١١١٧



صاحب الجلالة يترأس الجلسة الختامية

لأشغال الدورة الأولى للمجلس العلمي الأعلى

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

وزيرنا الأرضى في الشؤون الاسلامية والأوقاف.

حضرات السادة علماءنا المحترمين.

إننا تتبعنا منذ أن افتتحتم أعمالكم سيرها عن كثب، وأكثر من ذلك استخبرنا على النتائج التي ستصلون اليها، بل كان همنا الوحيد هو معرفة الجو السائد أثناء مناقشاتكم وتناولكم المشاكل ما جد منها أو ما كان منها قديماً.

ولقد سررنا عظيم السرور وأعمقه حينما قيل لنا ان الأعمال كانت في حماسها وتريثها، في اقدامها وتحكمها على العواطف تُجيب تماماً الى لما ننتظره من علمائنا من معرفة للواقع ومن العمل لنيل الحسن خوفاً من عدم اصابته وراء البحث عن الأحسن، وكما يقال : «ان الشيطان ليكتفي من ابن آدم بتحويله من عمل حسن الى عمل أحسن حتى يصير لا يعمل حسناً ولا أحسن».

اننا — وكونوا على يقين — سننكب بجد وعمق على دراسة ملتمساتكم ما هو اداري منها وما هو منهجي وما هو تربوي، واننا لن نالوا جهداً مع حكومتنا وادارتنا حتى نصل الى تلبيتها كلها أو ما نراه مجدياً منها كماً وكيفاً، مع أن مطامحكم — وأنتم على صواب — لا حد لها، اذ كما يقول جمال الدين الأفغاني : «لا حد للكمال ولا نهاية للفضيلة، ولكن امكانيات المغرب محدودة، وكما يقول علماؤنا : (ما لا يدرك كله لا يترك بعضه)، فكلما توصلنا الى وسيلة من وسائل العمل، وكلما أوجدنا بفضل الله وعملنا جميعا في المغرب امكانات جديدة مادية كان لنشر العلم ولبث العلم ولانشاء المعرفة الحقيقية بما هو الاسلام الحق الحظ الأوفر، علماً منا أن الأخلاق وحسن الخلق يكونان العمود الفقري لكل شعب وفي كل زمان ومكان.

و لم نجمعكم في هذه الأيام صدفة، بل أردنا أن يكون عملنا هذا جميعاً في بحبوبة وهيمنة الروحانية الكبرى والمعجزة المثلى للاسلام الا وهو نزول القرآن الذي أعجز به النبي صلى الله عليه وسلم أعداءه وخصومه وأردنا أن نجتمع جميعاً وننكب على عمل كعملنا في العشر الأواخر من رمضان إتباعاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن ليلة القدر قال : «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان».

الله سبحانه وتعالى اسأل أن يهدينا جميعاً الى أن نسير في خطى متوازنة، سيرنا سوف يكون أسرع سير، وأهدافنا سوف تكون أشرف أهداف، ونيتنا سوف تكون أطيب النيات، وبناؤنا سيكون بحول الله أمنع البنيان.



فلي اليقين انه حينما تلتقي إرادة الله مع رغبة عباده يسهل كل شيء ويبلغ كل هدف.

فالله سبحانه وتعالى اراد لهذه الأمة، أن تحيا تحت ظل الاسلام، فقد عاشت في ظله، وستبقى حية طاهرة نقية ماجدة ومجيدة في ظله.

ورغبة العباد المغاربة العميقة أن يكرعوا من مناهل العلم يوماً بعد يوم أكثر وأكثر، فالتقت اذن إرادة الله ورغبة عباده.

ولي اليقين أن رغبة كهاته ليس بينها وبين الله حجاب، فالله سبحانه وتعالى أسأل أن نكون في مستوى ما خططناه وما عزمنا عليه.

وموعدي معكم بعد مرور بضعة أشهر للاجتماع مرة ثانية بالمجلس الأعلى للعلماء، وفي انتظار ذلك الوقت أرجو منكم أن تبتدئوا أعمالكم بمجرد ما يقول لكم وزيرنا في الأوقاف بأننا متفقون على الأقل على الخطة التربوية والتثقيفية وتعميم التعليم في المساجد وغيرها وأننا قبلنا مناهجكم وطريقتكم.

أما المسائل الأخرى الادارية والمادية فكونوا على يقين اننا سنسهر شخصياً على تنفيذ ما هو ممكن للوصول إلى ما هو مرغوب، إلا أنكم عليكم أن تعلموا شيئاً مدققاً معروفاً، الكلام الذي جرى بينكم والحوار الذي جرى بينكم وبيني، فالحوار يكون بالمنطوق وبالمفهوم، «اشارات بطرف العين» — والمقام لا يسمح بالزيادة أكثر — سواء في اليوم الأول أو اليوم نشعر جميعاً — والشيء الذي هو أخطر يشعر النظارة كلهم — الملايين من المغاربة — أن الحوار بلغ منتهاه وبلغ أهدافه، فعلينا إذن في التطبيق وتحت عوامل ظرفية أو إندفاعية أو عاطفية إياكم ثم إياكم الانحراف، فدروس العشاءين ليست دروساً للترهيب، بل هي دروس للترغيب، ليست دروساً للسياسة، حينما أقول السياسة أقول السياسة اليومية، ولا أقول سياسة التخطيط وسياسة النماء وسياسة التحرير وسياسة الحرية حرية الفكر البناء، لا أقول السياسة الظرفية، إياكم والدخول فيما لا يعنيكم اذا ارتفع سعر الوقود أو سعر الدخان، إني أضع هذه النقط على الحروف أملا في أن تكون جميع الصدور الحاضرة هنا حاضرة والتي ليست حاضرة من العلماء الآخرين نقية طاهرة، وان طويتها هي طوية العلم لا طوية اتخاذ المساجد كمنبر لدعايات منحرفة.

وفيما اذا وقع لا قدر الله ما وقع فواجبنا يفرض علينا ان نحمي الدين من أي شيء ومن كل شيء، حتى من بعض العلماء ان اقتضى الحال، وهذا أقوله للحاضر، أقوله وتقولونه معي لمن سيتبعنا ولمن سيخلفنا من علماء ومن منصتين ومن طلبة ومن تلاميذ.

ولي اليقين أن جميع الأطراف قد فهمت معنى طريقتها وواجباتها وهدفها، وإيانا ثم إيانا أن ننساق في طريق الافراط لأن الافراط أخ التفريط، وإيانا ثم إيانا أن ننساق تحت تيار العاطفة والتيارات الظرفية، ولكن التنبيه من واجبات الملك ومن واجبات أمير المومنين.

ولي اليقين ان كل مجلس من مجالس العلماء الموجودة في مملكتنا الشريفة سوف يكون بمثابة المراقب لسير أمور أعضائه في حياتهم الخاصة وكذا في حياة تعاملهم ومعاملاتهم مع الجار ومع الخضار ومع المكتري حتى يكونوا من الذين ينهون عن المنكر، يغيرونه بأيديهم، فان لم يقدروا فبألسنتهم، فان لم يقدروا فبقلوبهم، أي بسيرتهم وسلوكهم، وبالمثل الذي يضربونه يومياً لجيرانهم ومواطنيهم.



وأظن أن فيما قلنا كفاية، وأريد أن أقول لكم انني نمت أول أمس نوماً طيباً ومطمئناً، لأن هذا الثقل كان على عاتقي وحدي منذ سنين وعشرات السنين فحملته من هم كفاة لحمله، فلم انزع الأمانة من عنقي ولكن اذا كنت مازلت أحملها كلياً وجزئياً فقد حملتها أهلها كذلك و لم أبق وحدي في الميدان، بل أصبحت — ولله الحمد — محفوفا بعد عناية الله وحفظه — بأطر عاملة واعية قادرة في هذا المضمار على أن تسير هي بدورها بالمغرب في مسيرة العرفان ومسيرة الاشعاع ومسيرة الاستمساك بالاسلام وبالحنفية وبالسنة المحمدية.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأحد 26 رمضان 1402 — 18 يوليوز 1982